نظرة تحليلية في قوله تعالى

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾

المدرس الدكتور

حسن عبد المجيد الشاعر

جامعة الكوفة / كلية الآداب

نظرة تحليلية في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾

المدرس الدكتور

حسن عبد المجيد الشاعر

جامعة الكوفة / كلية الآداب

تقديم:

إن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نزل داعية لكل ما فيه صلاح الإنسانية؛ وكونه كتابا مقدسا ختمت به الأديان السماوية أعجز كل من يحاول بلوغ منزلته الشامخة إلى الحد الذي لا يمكن وصفه فكريا وأسلوبيا، وما كان لأحد أن يؤتى مثله وما يكون؛ فحري بنا أن نمعن النظر في آياته ونتدبرها.

وفي طبيعة الدرس القرآني سلوة تسحر العقول، وتولع القلوب؛ ففي تصويراته الخلابة، وألفاظه المعسولة، وأجراسه المتناغمة حلاوة ورشاقة لا يضاهيهما شيء؛ وهو على الرغم من ذلك يصور الأشياء كما هي، فهو يجعل كل مشهد من مشاهده وكأنه أمام عينيك تلحظه وتحس به وإن نأى عنك زمانه ومكانه؛ وهو لم يقف عند هذا فحسب، بل راعى ما سمي بالموقع الأمثل لعناصر الأسلوب؛ فالله تعالى مبدع انتقى الألفاظ وأماكنها وآلف بينها وبين ما يجاورها من الألفاظ بحيث إنه لا يمكنك أن ترفع إحداها وتضع مكانها واحدة غيرها حتى يبين لك حجم ما أفسدت وإخلال ما فعلت.

سياق الآية:

من يقرأ قوله تعالى في الآية الثامنة والعشرين في سورة فاطر، وهو: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ ، فإنه لا يلحظ أي ربط بينها وبين ما سبقها من أول وهلة، وهو قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ** ﴾، وذلك في الآية السابعة والعشرين من السورة نفسها، والجزء الأول من الآية الثامنة والعشرين

منها، الذي هو على علاقة وثيقة بما قبله مبتنيا على عطف الجمل بعضها على بعض، أو على جعله كلاما مستئنفا؛ ولكنه إذا قرأ ما بعدها، هو قوله تعالى: ﴿ **إِن اللهَ عزيز غفور** ﴾ ، فإنه سيلحظ بينهما ربطا، وقد ربط بينهما الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، وذلك بقوله: ((وكذلك ينظر العلماء في حجج الله وبيناته ويفكرون في ما يفضي بهم إلى معرفته من جميع ما تقدم ذكره))[٣].

وذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أن وجه اتصال قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ هو أنه ((لما قال ﴿ **ألم تر** ﴾ بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء، وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته، أتبع ذلك ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك: ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه))[٢].

وقال أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) إنها ((تعليل لخشية إذ العزة تدل على عقوبة العصاة وقهرهم والمغفرة على إنابة الطائعين والعفو عنهم))[١].

وذكر الألوسي (ت١٢٧٠هـ) أن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ تكملة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ** ﴾(فاطر: من الآية١٨) ربهم بالغيب }[٤]، وذلك ((بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد الإيماء إلى شرف الخشية ورداءة ضدها... وسلك به مسلك الكناية من باب العرب لا تخفر الذمم ولا دلالة على أن العلم يقتضي الخشية ويناسبها وهو تخلص إلى ذكر أوليائه تعالى مع إفادة أنهم الذين تقع فيه [يقع فيهم] الإنذار...))[٥].

ورأى السيد محمد حسين الطبأطبائي أن قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ ((استأناف يوضح أن الاعتبار بهذه الآيات إنما يؤثر أثره ويورث الإيمان بالله حقيقة))[٦] .

ومن ذلك نستدل على العلة أو الوجه من استئناف هذا الكلام وأنه على صلة بما قبله لا أعني بذلك الصلة النحوية، وإنما المعنى المستفاد من الاعتبار ومن يعتبرون به، وهم العلماء.

المعنى المعجمي لألفاظ الآية:

الآية تتكون من ستة كلمات: إنما + يخشى + الله + من + عباده + العلماء. أما (إنما) فإنها واحد من طرق القصر التي منها (ما + لا)، والعطف بـ (لا، بل، لكن)، وتقديم ما حقه التأخير[٧]. وهي تتركب من (إن) المؤكدة، و(ما) التي تعددت فيها الوجوه[٨]. أما (يخشى) فإنه حدث انصرف إلى زمان مطلق؛ والخشية الخوف المشوب بالعظمة والمهابة[٩]. وهي ليست كالخوف، أي:الفزع الذي فطرنا عليه بل هو أكبر من ذلك وأعظم، و ((الخشية منه بتمام معنى الكلمة في العلماء دون الجهال))[١٠]. أما لفظ الجلالة (**اللَّهَ**) فإنه علم للذات المقدسة لا اسم جنس[١١]؛ ويتكون من (أل) التعريف ولفظ (إله) بسقوط الهمزة[١٢]. أما (من) فهو واحد من حروف الجر، ويتضمن معان كالتبعيض، وبيان الجنس، وابتداء الغاية، وغيرها[١٣]. وهو في هذه الآية يحتمل التبعيض إذا كان المراد بـ (العباد) كل من يعبد الله حقا، أو على الظاهر، أو بيان الجنس إذا كان المراد بهم كل من يعبد حقا لا على الظاهر. أما (العباد) فإنه جمع عبد، والعبد نظيره الحر، والعباده: الطاعة، ولا يقال: عبد يعبد عبادة إلا لمن يعبد الله[١٤]. ولهذا الجمع خصوصية في القرآن الكريم، فقد استعمله سبعا وتسعين مرة، وهو كثير جدا إذا وازناه بـ (عبيد) الذي استعمله القرآن الكريم خمس مرات. والمراد بالعباد في التعبير القرآني من يعبدون الله حقا، وذلك إذا أضيف إليه ما أكنى عن لفظ الجلالة مباشرة (عباده، عبادي، عبادك، عبادنا)، أو إذا تعلق به ﴿**عِبَاداً لَّنَا**﴾[١٥]، أو أن تضاف إليه صفة من صفات الله التي هي عين ذاته المقدسة ﴿**عِبَادُ الرَّحْمَنِ**﴾[١٦]؛ أو يراد به من يعبدون الله حقا، أو على الظاهر ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[١٧]. أما (عبيد) فإنه يعم دائما ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[١٨]. أما (عبد) فيراد له في التعبير القرآني من يعبدون الله حقا وذلك إذا أضيف إليه لفظ الجلالة ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**﴾[١٩]، أو ما أكنى عنه (عبده، عبدنا)، أو من خلال السياق والوصف ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾[٢٠]، و﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾[٢١]. وأما في غير ذلك فهو العبد المملوك ﴿ **الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ** ﴾[٢٢]. أما (العلماء) فإنه جمع عليم لا عالم، قال سيبويه (ت١٨٠هـ): ((وعلماء يقولها من لا يقول إلا عالم))[٢٣]. ولكن قياس اسم الفاعل من (علم) هو عليم، فإنه ((لما كان العلم إنما سكون الوصف به

بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة... فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار (عالم) فى المعنى كعليم، فكسر تكسيره))[٢٤]. وأرى أن لكلا اللفظتين في التعبير القرآني مدلولا معينا، فـ(عليم) أو المعرف بـ(أل) التعظيم (العليم) استعمل في القرآن الكريم ثمانيا وثلاثين ومائة مرة، وهو خبر دائما مختص بالله تعالى ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢٥]، و﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢٦] في حين استعمل (عالم) ثلاث عشرة مرة، وهو مختص بالله تعالى والبشر؛ ولكنه لا يكون مختصا بالله تعالى إلا وهو مضاف، وكون علمه منحصرا في شيء لا يبلغه البشر ولن يبلغوه، وهو علم الغيب والشهادة ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [٢٧]، أو علم الغيب ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ [٢٨]، أو علم غيب السموات والأرض ﴿ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٢٩]. وإنما كان التحول من الصيغة القياسية (عليم) إلى الصيغة السماعية (عالم) فيما يخص البشر من دون إضافته إلى شيء، أو إضافته إلى شيء هو في مقدور البشر، لئلا يقال:الله عالم، وفلان عالم؛ وإنما يقال:الله عليم، والله العليم؛ أو يقال:عالم الغيب، أو عالم غيب السموات والأرض، أو عالم الغيب والشهادة. والعلم ((إدراك الشيء بحقيقته))[٣٠]. وقد تعددت الأقوال في حقيقة العلم في هذه الآية، وكلها تجتمع في شيء واحد، وهو أن العلم بالله، أي بقدرته توقنك بعقابه على معصيته، وقد خص العلماء بذلك لذلك[٣١]. وفي الأثر:((العلماء بالله الذين يخافونه))[٣٢]، و ((ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية))[٣٣].

القراءة:

ذكر الزمخشري على سبيل أن يسأل فيجيب:ما وجه القراءة ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ برفع لفظ الجلالة، وهي بحسب ما ذكر قراءة عمر بن عبد العزيز، وتحكى عن أبي حنيفة (ت١٥٠هـ)، فقال: ((الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى:إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده))[٣٤]. وذكر القول نفسه القرطبي (ت٦٧١هـ)، وأبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، والبيضاوي (ت٧٩١هـ)، والألوسي (ت١٢٧٠هـ)[٣٥].

وذكر أبو حيان أن نصب لفظ الجلالة قراءة الجمهور، ولعل ما حكي برفعه، وهو قراءة عمر بن عبد العزيز، وأبي حنيفة لا يصح عنهما، ثم قال: ((وقد رأينا كتبا فى الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة وإنما ذكرها الزمخشري وذكرها عن أبي حيوة أبو القاسم يوسف بن جبارة فى كتابه الكامل))[٣٦]. وذكر الألوسي أن صاحب النشر طعن في هذه القراءة، وقد عدت إلى كتاب (النشر في القراءات العشر) ولم أجد شيئا عن

هذه القراءة على الرغم من أنه ذكر فيه كتاب الكامل مرتين، الذي هو من تأليف القارىء الأندلسي أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة[٣٧]، وذكر الألوسي جنادة بدلا من جبارة[٣٨]. ومجمل القول إن هذه القراءة لا صحة لها، وهي إن صحت فيحكم عليها بأمرين الأول شذوذها كون جمهور المسلمين آخذين بنصب لفظ الجلالة لا رفعه، والثاني ابتعادها عن ظاهر النص، والآخذ بخلافه يغرق في التأويل والدخول في أمور أخرى لا طائل لها.

التركيب النحوي للآية:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ تقدم لفظ الجلالة، وحقه التأخير، لأنه مفعول به، وربما يكون ذلك لأنه كان متحدثا عنه في الآية السابقة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[٣٩]. وقد يسأل سائل:ألا يكون قولنا: يخشى العلماء الله مثله، والرتب فيه منضبطة:الفعل + الفاعل + المفعول به ؟ فنجيبه بالقول:إنه تعالى أراد توكيد الحكم بـ(إنما)، فيقول: ألا يكون قولنا: إن العلماء يخشون الله، أو بزيادة: إن العلماء ليخشون الله توكيدا للحكم ؟ فنجيبه بالقول إن التوكيد بـ (إنما) غير التوكيد بـ(إن) فإن المراد من (إنما) تأكيد للحكم على تأكيد، فقد ذكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) أن هناك وجها لطيفا يسند إلى علي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وكان من أكابر النحويين في بغداد حينذاك، وهو أن (إن) لما كان المراد منها إثبات المسند إليه بالمسند ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة لا النافية تضاعف تأكيدها[٤٠]. وقال السكاكي إن أئمة النحو قالوا بأن (إنما) تجيء لتثبت ما بعدها وتنفي عن غيره دفعة واحدة[٤١]. وهي تؤكد الكلام مع ذلك[٤٢]. وهذا التوكيد لا يبين إلا بها، فلو قلت: ما يخشى الله إلا العلماء، أو ما يخشى الله إلا الجهلاء من العباد بل العلماء، أو لكن العلماء يخشونه، أو يخشى الله العلماء لا الجهلاء، أو يخشى الله العلماء بتقديم ما حقه التأخير، فإن كل واحد من طرق القصر هذه لا يؤدي التوكيد بالصورة التي أفادته (إنما).

وقد تعددت الآراء في ماهية (ما) المتصلة بـ (إن)، فمنهم من عدها اسما مبهما بمنزلة ضمير الشأن في التفخيم، والإبهام، والجملة بعده مفسرة له، ومخبر بها عنه، وهو ما زعمه ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) وبعض الكوفيين[٤٣]. ومنهم من عدها نافية على، وهو ما ذهب إليه جماعة من الأصوليين، والبيانيين[٤٤]. وهذا محال كونه ينتقض مع المعنى المتبادر إلى الذهن، والقريب إلى الأفهام، فكيف إذا خلصنا إلى أقوال المفسرين ؟، ومنهم من عدها بمعنى (الذي)[٤٥]، وذلك لا يكون إلا إذا دخلت على فعل فإنه لا يعقل أن يقال: إنما زيد قائم بمعنى:إن الذي زيد قائم. ومنهم من عدها كافة للعامل[٤٦]، وهو (إن) الناسخة للابتداء، وهذه التسمية لا تصلح إلا في حال

دخولها على اسم، ومنهم من عدها زائدة[٤٧]، وهذا أبعد ما يكون عن روح المعنى والذوق السليم، ويمكن أن تعد أيضا في حال من الأحوال بـ (المهيئة)، وذلك حين تدخل على فعل، وهذا ما يستشف من قول الرضي الاسترابادي (ت٦٨٨هـ)،: ((لأنه لها تأثيرا قويا، وهو منع العامل من العمل وتهيئته لدخول ما لم يكن له أن يدخله))[٤٨].

وهي من حيث الإعراب لا تعمل فيما بعدها، وفي قولك:إنما زيد منطلق ألغي العمل، وهو حسن؛ قال ذلك الخليل (ت١٧٤هـ)[٤٩]. وذكر سيبويه أنها ((فيما زعم الخليل بمنزلة فعل ملغى مثل أشهد لزيد خير منك لأنها لا تعمل فيما بعدها ولا تكون إلا مبتدأة بمنزلة إذا لا تعمل فى شيء))[٥٠]. ثم بين كلام الخليل بقوله: ((فإنما أدخلت إنما على الكلام فصار كقولك إنما أنت صاحب كل خنى لأنك أدخلتها على كلام قد عمل بعضه في بعض))[٥١]. وهي قد تعمل قليلا عند ابن السراج (ت٣١٦هـ)، والزجاجي (ت٣٤٠هـ)[٥٢]. و(إنما) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ تأكيد على تأكيد ولا يمكن أن تكون كافة على الرغم من جزم النحاة بذلك بحسب ما ذكره ابن هشام (ت٧٦١هـ)، الذي زاد على ذلك أنه لا يمتنع كونها بمعنى (الذي) والعلماء خبره والعائد ضمير مستتر في الفعل (يخشى)[٥٣].

والظاهر إن هناك وجوها كثيرة دعت إلى تقدم المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ منها السياق كون لفظ الجلالة متحدثا عنه في الآية السابقة، ومنها المعنى المناسب الذي لا يفضي إلى التأويل والخروج على ظاهر النص، فقد ذكر الزمخشري أنك إن ((قلت هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر ؟ قلت:لا بد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى:إن الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله تعالى ﴿ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب: من الآية٣٩) وهما معنيان مختلفان))[٥٤]. والمراد هو حصر الفاعلية بتقديم المفعول به ولو أخر لانعكس الأمر[٥٥]. فيتضح من الأول أن الخاشين هم العلماء، ويتضح من الثاني أن المخشي منه هو الله تعالى[٥٦]. ثم إنه لا يمكننا تجاهل الأسلوب، الذي أدى إلى ذلك.

ويستشف في تقدم ما يتعلق بالفعل، وهما الجار والمجرور (من عباده) على الفاعل (العلماء) أمران :

١. التشويق إلى معرفة من قصرت عليه خشية الله.
٢. التعظيم، فإنه تعالى خاطبهم بلفظ (العباد) المضاف إلى ما أكنى عنه، وهو الهاء العائدة عليه سبحانه.

الأسلوب:

ورد قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ بأسلوب القصر بطريق (إنما)، وهو الحصر عند بعضهم لا من حيث المعنى المعجمي بل الاصطلاحي[٥٧].

والقصر لغة:الحبس[٥٨]. وهو الحسب والكفاية والغاية، يقال: ((قصرك أن تفعل كذا أي حسبك وكفايتك وغايتك... وهو من معنى القصر الحبس لأنك إذا بلغت الغاية حبستك))[٥٩]. والقصر اصطلاحا: ((تخصيص شيء بشيء وحصره فيه))[٦٠]، أو هو ((تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص))[٦١]. والشيء الأول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه كتخصيص الفعل بالفاعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ ويستدل على التخصيص ((بالوضع وجزم العقل ودلالة التقديم عليه بوساطة الفحوى وحكم الذوق))[٦٢]. و(إنما) تفيد القصر لتضمنها معنى (ما) و(لا)، والمفسرون يقولون: إن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [٦٣] بالنصب معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة والدم، وهو مطابق لقراءة الرفع لانحصار التحريم عليهما[٦٤].

والقصر في هذه الآية حقيقي وخلافه غير الحقيقي (الإضافي)، والمراد بالقصر الحقيقي اختصاص المقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ولا يتعداه إلى غيره أصلا، نحو:لا إله إلا الله؛ أما غير الحقيقي، فالمراد منه اختصاص المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء مخصوص لا إلى ما عدا المقصور عليه كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [٦٥]، فليس المقصود أن الرسالة اختصت به وحده[٦٦].

وفي هذه الآية قصرت الصفة على الموصوف، والمراد بالصفة الأمر المعنوي لا النعت في النحو[٦٧]؛ فقد قصرت خشية الله على العلماء لا قصر خشية العلماء على الله بتبادل موضعي (الله)، و(العلماء)، لأن حكم ما بعد (إنما) كحكم المستثنى ولكنه معها لا يجوز تقديمه أو تأخيره كما يحدث في (ما) و(لا)، لأنه يؤدي إلى الإلباس، ومن ذلك يعثر على الفرق بين قولنا بتقديم المرفوع الذي يوجب قصر خشية العلماء على الله، وقولنا بتقديم المنصوب الذي يوجب قصر خشية الله على العلماء[٦٨]. وقيل إن ((إنما فى هذه الآية تخصيص العلماء لا الحصر وهى لفظة تصلح للحصر وتأتى أيضا دونه وانما ذلك بحسب المعنى الذى جاءت فيه))[٦٩]. وهذا القول ينتقض تماما مع ما ذكر عن إفادة (إنما) القصر الذي هو الحصر من حيث المعنى المعجمي.

وتطلق (إنما) من المتكلم في مقام يجب على المخاطب أو السامع ألا يصر

على خطئه، كقوله تعالى﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [٧٠]، فيتلقاه بالقبول.

والأصل فيها استعمالها في حكم لا يعوزك تحقيقه لأنه جلي أو تدعيه جليا؛ ومن الأول قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (النساء: من الآية١٧١) ، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [٧١]، فإنهم ادعوا كعادتهم في الكذب أنهم مصلحون، وهو أمر جلي لذا أكد تعالى تكذيبهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [٧٢] بالجملة الاسمية، وتعريف الخبر بـ(أل)، وضمير الفصل، و(إن) المؤكدة، وحرف التنبيه المصدر[٧٣]. وقال الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) في ذلك: ((وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره))[٧٤]؛ وقال:إن من أحسن مواقع (إنما) التعريض كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [٧٥]، فإنهم لفرط جهلهم وعنادهم في حكم من ليس بذي عقل، فهم كالبهائم، فطمعكم في النظر والتذكر كطمعه منها[٧٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ خرج إلى ذلك فالمراد منه أن الجهلاء لا يخشون الله، لأنهم لا علم لهم بالله في بديع ما صنع فينظروا فيه ويتفكروا.

والذي نخلص إليه بخصوص هذه الآية أنها قد تركبت بما قبلها وما بعدها تركبا لا يمكن من دونه أن يتصور المعنى المراد، وكذلك الحال في العناصر التي تركبت منها، فناسبت ما قبلها وما بعدها، وتناسبت عناصرها أيضا فإنه لا يمكنك أن ترفع بعضها وتضع بدلا منه غيره، أو تبادل بين عناصرها؛ وهي زيادة على ذلك جاءت بأسلوب رفيع بان فيه التوكيد بشدة مع الإيجاز أيضا، فقد قيل إن ((القصر من ضروب الإيجاز الذى هو أعظم ركن من أركان البلاغة، إذ أن جملة القصر في مقام جملتين، فقولك (ما كامل إلا الله) تعادل قولك:الكمال لله، وليس كاملا غيره))[٧٧].

هوامش البحث:

(١) البحر المحيط:٣١٢/٧.
(٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٦١١/٣.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، تح:أحمد حبيب قصير العاملي:٤٢٧/٨.
(٤) فاطر -١٨-
(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:١٩١/٢٢.
(٦) الميزان في تفسير القرآن:٤٣/١٧.
(٧) ظ. مفتاح العلوم، السكاكي، تح: أكرم عثمان يوسف:٥٠٨-٥١٢، وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي:١٨١.
(٨) سنتطرق إليها حين نتحدث عن التركيب النحوي للآية.
(٩) ظ. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (خشي):١١٣/١٠.
(١٠) الميزان:٤٣/١٧.

(١١) ظ. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي:٤٥٠.
(١٢) ظ. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أله):٢٥/١.
(١٣) ظ. شرح ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد:١٥/٢-١٦، ١٨.
(١٤) ظ. تاج العروس (عبد):٤١٠/٢.
(١٥) الإسراء -٥-
(١٦) الفرقان -٦٣-
(١٧) آل عمران -١٥-
(١٨) الأنفال -٥١-
(١٩) مريم -٣٠-
(٢٠) الإسراء -٣-
(٢١) ص -٣٠-
(٢٢) البقرة -١٧٨-
(٢٣) كتاب سيبويه، ط بولاق:٢٠٦/٢.
(٢٤) الخصائص، ابن جني، تح:محمد علي النجار:٣٨٢/١.
(٢٥) البقرة -٣٢-
(٢٦) البقرة -٢٩-
(٢٧) الأنعام -٧٣-
(٢٨) سبأ -٣-
(٢٩) فاطر -٣٨-
(٣٠) تاج العروس (علم):٤٠٥/٨.
(٣١) ظ. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تح: صدقي جميل العطار:١٥٨/٢٢، ومعاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني:٤٥٤/٥، والتبيان:٤٢٧/٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، تح: جماعة من العلماء:٢٤٢/٨، والتفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني: ٢٣٧/٨.
(٣٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي:٢٤٩/٥-٢٥٠.
(٣٣) الدر المنثور:٢٥٠/٥.
(٣٤) الكشاف:٦١١/٣.
(٣٥) ظ. الجامع لأحكام القرآن:٣٤٤/١٤، والبحر المحيط:٣١٢/٧، وتفسير البيضاوي:٤١٨/٤، وروح المعاني:١٩١/٢٢.
(٣٦) البحر المحيط:٣١٢/٧.
(٣٧) ظ. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:٣٥/١، ٩١.
(٣٨) ظ. روح المعاني:١٩١/٢٢.
(٣٩) فاطر -٢٧-
(٤٠) ظ. مفتاح العلوم:٥١٠-٥١١.
(٤١) ظ. مفتاح العلوم:٥١٠.
(٤٢) ظ. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين:٣٠٩/١.
(٤٣) ظ. المغني:٣٠٧/١.
(٤٤) ظ. المغني:٣٠٨/١-٣٠٩.
(٤٥) ظ. كتاب سيبويه، الحاشية بشرح أبي سعيد السيرافي (ت٣٨٥هـ):٢٨٣/١.
(٤٦) ظ. المصدر نفسه.
(٤٧) ظ. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين:٢٧٩.
(٤٨) شرح الرضي على الكافية:٤٣٥/٤.
(٤٩) ظ. كتاب سيبويه:٢٨٢/١-٢٨٣.
(٥٠) كتاب سيبويه:٤٦٦/١.
(٥١) المصدر نفسه.
(٥٢) ظ. شرح ابن عقيل:٣٧٤/١.
(٥٣) ظ. المغني:٣٠٨/١.

(٥٤) الكشاف:٦١١/٣.
(٥٥) ظ. تفسير البيضاوي:٤١٨/٤.
(٥٦) ظ. تفسير النسفي:٣٤٢/٣.
(٥٧) ظ. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي:١٨١/١.
(٥٨) ظ. لسان العرب، ابن منظور (قصر):٩٩/٥.
(٥٩) لسان العرب (قصر):٩٧/٥.
(٦٠) التعريفات، الجرجاني:٢٢٥.
(٦١) مختصر تلخيص المفتاح، التفتازاني:١٦٦/٢.
(٦٢) مفتاح العلوم:٥١٢.
(٦٣) البقرة -١٧٣-
(٦٤) ظ. مفتاح العلوم:٥١٠، ومن كتب التفسير:جامع البيان:١١٥/٢، والتبيان:٨٣/٢.
(٦٥) آل عمران -١٤٤-
(٦٦) ظ. التلخيص في علوم البلاغة، القزويني:١٣٧، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني:٧٠.
(٦٧) ظ. التلخيص:١٣٧.
(٦٨) ظ. المفتاح:٥٢١، والإيضاح:٧٧.
(٦٩) البحر المحيط:٣١٢/٧.
(٧٠) النساء -١٧١-
(٧١) البقرة -١١-
(٧٢) البقرة -١١-
(٧٣) ظ. مفتاح العلوم:٥١٥-٥١٧.
(٧٤) الإيضاح:٧٤.
(٧٥) الرعد -١٩-
(٧٦) ظ. التلخيص:١٤٧-١٤٨، والإيضاح:٧٥.
(٧٧) جواهر البلاغة:١٨٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، ١٩٨٢م.
(٢) البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، مكتبة مطابع النصر الحديثة، الرياض – المملكة العربية السعودية.
(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي،مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٩م.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحـ:أحمد حبيب قصير العاملي إحياء التراث العربي، بيروت.
(٦) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحـ:إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
(٧) تفسير البيضاوي (ت٧٩١هـ)، تحـ:عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
(٨) تفسير الصافي، فيض الدين الكاشاني، ط٢، مؤسسة الهادي للطباعة، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.
(٩) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
(١٠) تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، د. ط، د. مط، د. ت.
(١١) التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تحـ:عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

(١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحـ:صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
(١٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٨٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٥م.
(١٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ط١٣، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٦٣م.
(١٥) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحـ:محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية.
(١٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
(١٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(١٨) شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري (ت٦٧٢هـ)، تحـ:محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٤، مطبعة السعادة بمصر.
(١٩) شرح الرضي على الكافية، تحـ:يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م.
(٢٠) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحـ:محمد محيي الدين عبد الحميد.
(٢١) كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٣١٦هـ.
(٢٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، نشر أدب الحوزة، قم – إيران، ١٤٠٥هـ.
(٢٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحـ:لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
(٢٤) مختصر تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، ط٢، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٢هـ.
(٢٥) معاني القرآن، أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحـ:محمد علي الصابوني، ط١، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩م.
(٢٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحـ:علي محمد البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، ١٩٦٩م.
(٢٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
(٢٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحـ:محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم – إيران، ١٤٠٤هـ.
(٢٩) مفتاح العلوم، يوسف ين أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحـ:أكرم عثمان يوسف، ط١، مطبعة دار الرسالة – بغداد، ١٩٨٢م.
(٣٠) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبأطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
(٣١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحـ:علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.